المحاضرة الرابعة: قضايا أدب الطفل

مقدمة:

يُعدّ أدب الطفل مرآةً تعكس هموم الطفولة واحتياجاتها وأحلامها، وهو في الوقت نفسه أداة تربوية وفنية لمعالجة القضايا التي تهمّ المجتمع والإنسان، فالطفل كائن في طور التكوين، تتفاعل في ذهنه صور العالم، وأدب الطفل يساعده على فهم ذاته ومجتمعه والعالم من حوله، لهذا نجد أنّ موضوعات هذا الأدب وقضاياه تتنوّع بين الإنساني والاجتماعي، والأخلاقي، والوطني، والتربوي، والبيئي، والعلمي، والنفسي، والقيمي، والجمالي، وسنعرض في هذه المحاضرة أبرز هذه القضايا التي تناولها كتّاب أدب الطفل مع الشرح والتمثيل.

أولًا: القضايا الأخلاقية والسلوكية

من أبرز القضايا التي يتناولها أدب الطفل ترسيخ القيم الأخلاقية والسلوكية بأسلوب غير مباشر، فالطفل يتعلّم من خلال المواقف والحوار والنهايات التي تُبرز نتائج الأفعال، وليس عبر الوعظ المباشر.

1. **الصدق والأمانة:** يُظهر الكاتب قيمة الصدق في الموقف اليومي أو في القصة الرمزية، مثال: قصة الراعي الكذّاب التي حذّر فيها الكاتب من عاقبة الكذب بأسلوب بسيط يجعل الطفل يدرك أن فقدان الثقة نتيجة الكذب أمر مؤلم.

وفي شعر أحمد شوقي الموجّه للأطفال يقول:

"الصِّدقُ منجاةُ الفتى *** والكذبُ مرداةُ الفتى"

بهذا البيت يختصر شوقي القيم الأخلاقية في صورة شعرية موزونة تُغرس في ذهن الطفل بسهولة.

2. **التعاون والإيثار:** يعرض الأدب نماذج من الشخصيات التي تتعاون لتحقيق هدف مشترك، مثال: في قصة النملة والحمامة من قصص "إيسوب"، نجد نموذجًا للتعاون بين الكائنات الضعيفة، مما يُرسّخ معنى التكافل والمساعدة.

.3**احترام الكبير والعطف على الصغير:** يتعلّم الطفل من الأدب أن الاحترام المتبادل قيمة إنسانية، مثال: في قصص كمال بلّاطة أو يعقوب الشاروني نقرأ حوارات بين الجد والحفيد، تُبرز مكانة الكبار في العائلة.

ثانيًا: القضايا الاجتماعية والإنسانية

يرتبط أدب الطفل بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل، فيعالج مشكلات المجتمع وقيمه وتحوّلاته.

.**1الأسرة ودورها:** الأسرة هي المحضن الأول لتكوين شخصية الطفل، لذا يركّز الأدب على أهمية الحب والتفاهم بين أفرادها، مثال: في قصة أمي حبيبتي، يُعبّر الطفل عن مشاعره تجاه الأم، ويُبرز الكاتب قيمة الحنان والتضحية الأمومية.

.2**الصداقة:** قضية الصداقة من أهم موضوعات قصص الأطفال، لأنها تُنمّي الشعور بالانتماء والتعاون، مثال: في قصة الأصدقاء الثلاثة، يتجاوز الأبطال الخلافات الصغيرة لتحقيق هدف واحد، مما يعزّز مفهوم الصداقة الحقيقية.

.3**العدالة والمساواة:** يُعلّم أدب الطفل مبدأ العدالة في الحقوق بين الناس دون تمييز، مثال: في قصة الملك العادل والطفل الفقير، يتعرّف الطفل على فكرة المساواة الاجتماعية بطريقة رمزية.

ثالثًا: القضايا الوطنية والقومية

يُسهم أدب الطفل في غرس روح الانتماء الوطني وحب الوطن منذ الصغر، من خلال رموز البطولة والتاريخ والعلم والعمل.

.**1حب الوطن:** يُشجّع الأدب الطفل على الاعتزاز بوطنه والدفاع عنه والعمل من أجله، مثال: يقول أحمد شوقي:

"حبُّ الوطنِ فرضٌ عليّا إن غابَ عنّي ما نسيّا"

هذه الأبيات البسيطة تُجسّد الانتماء الوطني في قالب غنائي عاطفي قريب من وجدان الطفل.

.2**رموز الأمة وأبطالها:** القصة الوطنية تُعرّف الطفل برموز تاريخه من العلماء والمجاهدين، مثال: قصص عن الأمير عبد القادر وجميلة بوحيرد تُقدَّم بأسلوب بطولي تربوي يربط الطفل بجذوره.

.3**الوحدة والتضامن العربي:** تناول الأدب العربي للأطفال قضايا القومية العربية والوحدة في مواجهة التفرقة، مثال: قصة الأطفال العرب في رحلة إلى القدس تزرع الوعي بالقضية الفلسطينية منذ الصغر.

رابعًا: القضايا التربوية والتعليمية

يرتبط أدب الطفل ارتباطًا وثيقًا بالتربية، إذ يهدف إلى بناء شخصية متكاملة تجمع بين الفكر والأخلاق والجمال.

.1**حبّ التعلم والمعرفة:** يُقدّم الأدب العلم في صورة مغامرة شيقة، مثال: في قصة رحلة في عالم الفضاء، يتعلّم الطفل مبادئ علم الفلك في إطار قصة مشوقة عن رحلة طفل إلى الكواكب.

.2**النظام والانضباط:** يعالج الأدب قضية الفوضى والكسل من خلال المواقف اليومية، مثال: قصة الطفل الذي تأخّر عن المدرسة تُظهر نتائج الإهمال بأسلوب طريف لا يخلو من العبرة.

.3**حب القراءة:** يُقدّم الأدب ذاته كقيمة تربوية من خلال قصص عن الكتب والمكتبات، مثال: قصة الكتاب الصغير الذي علّمني القراءة تجعل الكتاب صديقًا حيًّا للطفل.

خامسًا: القضايا النفسية

يُعالج أدب الطفل قضايا نفسية دقيقة بطريقة غير مباشرة تساعد على النمو الانفعالي السليم.

.1الخوف: الأدب يُحوّل الخوف إلى تجربة تعليمية تُنمي الشجاعة، مثال: قصة الطفل الذي خاف من الظلام تُظهر كيف انتصر الصغير على خوفه باكتشاف أن الظلام ليس عدوًا بل طبيعة.

.2**الغيرة:** مثال:في قصة أخي الصغير يأخذ ألعابي، يتعلّم الطفل كيف يشارك الآخرين دون أن يشعر بالتهديد أو الأنانية.

.3الثقة بالنفس: الأبطال الصغار الذين يواجهون الصعوبات يُنمّون في الطفل روح المبادرة، مثال: قصة عقلة الإصبع نموذج عالمي في غرس الثقة والإرادة رغم الضعف.

سادسًا: القضايا البيئية والطبيعية

تُعدّ البيئة من الموضوعات الحديثة في أدب الطفل، إذ يسعى الأدب إلى غرس حبّ الطبيعة والمحافظة عليها.

.1**المحافظة على البيئة:** مثال قصة الأرض العطشى تدعو إلى ترشيد الماء وحماية الطبيعة بلغة شاعرية.

.2**الحيوانات والنباتات:** يُعطي الأدب صوتًا للطبيعة كي يتعلّم الطفل من الكائنات، مثال: قصة الحمامة والنملة، الأسد والفأر — من التراث الإنساني الذي يُعلّم الرحمة والتعاون عبر الحيوان.

.3**احترام النظام البيئي:** مثال: قصة الغابة التي حزنت تُظهر كيف يؤدي تلوث البيئة إلى حزن الكائنات، فتزرع الوعي البيئي في قلب الطفل.

سابعًا: القضايا العلمية والتكنولوجية

يُقدّم أدب الطفل العلم في قالبٍ تخيّلي جذّاب، مما يُنمّي حبّ الاكتشاف والبحث.

.1**الاكتشاف والفضول العلمي:** مثال: في سلسلة قصص العالِم الصغير، يُخترع الطفل أدوات بسيطة تثير خياله العلمي.

.2**التكنولوجيا:** الأدب الحديث للأطفال يعالج علاقة الطفل بالتقنية دون أن يفقد إنسانيته. مثال: قصة الروبوت الصديق تُناقش علاقة الإنسان بالآلة بلغة رمزية لطيفة.

.3**التفكير النقدي:** أدب الخيال العلمي يجعل الطفل يسأل: ماذا لو تغيّر العالم؟ مثال: قصة المدينة الطائرة تفتح للطفل باب التساؤل عن المستقبل والتقدّم العلمي.

ثامنًا: القضايا الجمالية والفنية

يركّز أدب الطفل على بناء الذوق الجمالي وتنمية الإحساس بالفن.

.1**حب الجمال في الطبيعة:** مثال: في شعر شوقي للأطفال نقرأ قوله:

"يا نَهرُ هل تعرفُني؟ أنا الصبيُّ الغِرُّ الغَنيّ"

القصيدة تعلّم الطفل محاورة الطبيعة واستشعار الجمال فيها.

.2**الفن والتعبير:** قصص الأطفال التي تتناول الرسم أو الموسيقى تجعل الطفل يُدرك أن الفن وسيلة للتعبير لا الترف.

.3**المسرح المدرسي:** المسرحيات الموجّهة للأطفال تُنمّي الحس الجمالي والجماعي لديهم، وتعلّمهم الحوار والتفاعل.

تاسعًا: القضايا الثقافية والهوية

من مهام أدب الطفل تعزيز الهوية الثقافية العربية والإسلامية ومواجهة الغزو الثقافي.

.1**اللغة والهوية:** تشجيع الطفل على حب العربية من خلال القصة والشعر، مثال: قصة لغتي الجميلة تعلّم الطفل أن لغته هي هويته الأولى.

.2**التعريف بالتراث:** الأدب يُعيد للطفل صلته بالموروث الشعبي والحكايات القديمة، مثال: قصة جحا والأذكياء الثلاثة تُقدّم التراث بروحٍ فكاهية تُثري العقل والخيال.

.3**الحوار مع الثقافات:** يعالج أدب الطفل المعاصر التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى دون الذوبان فيها/ مثال: قصة الطفل الذي سافر إلى اليابان تُظهر التبادل الثقافي واحترام الاختلاف.

ع**اشرًا: القضايا الإنسانية الكبرى**

يتناول أدب الطفل في بعده الإنساني قضايا مثل السلام، والحرية، والعدالة، واحترام الإنسان.

.1**السلام ونبذ العنف:** مثال: قصة الحمامة البيضاء رمزية عن السلام بين الشعوب.

.2**المساواة والحرية:** مثال: قصة الطفلة التي أرادت أن تتعلّم تُجسّد حقّ البنات في التعليم والحرية.

.3**الرحمة والتسامح:** مثال: قصة القلب الكبير تُظهر قيمة التسامح من خلال طفل يُسامح من آذاه.

حادي عشر: القضايا الدينية في أدب الطفل

يُعدّ البعد الديني من أهم الأبعاد في أدب الطفل العربي والإسلامي، لأنه يسهم في بناء الضمير الإيماني والخلقي للطفل، ويعرّفه بدينه بطريقة مبسّطة، محبّبة، بعيدة عن الوعظ الجاف أو الخطاب الوعظي المباشر، فالأدب الديني للطفل يقدّم الإيمان في ثوب الفنّ، ويغرس العقيدة عبر القصص، والأناشيد، والمسرحيات، والرموز الجمالية.

.1تعريف الطفل بعقيدته وإيمانه

القضية الأساسية التي يعالجها الأدب الديني هي تعريف الطفل بخالقه وبمعاني الإيمان بالله ووحدانيته بطريقة تتناسب مع إدراكه، مثال: في قصة الله يراني، تتعلّم الطفلة الصغيرة أن الله يراها في كل مكان، فتحرص على الصدق والأمانة دون أن تشعر بالرقابة الخارجية.

.2**تعليم القيم الإسلامية والأخلاق النبوية:** من أهم ما يميّز أدب الطفل المسلم هو توظيف القصص النبوي والقرآني لترسيخ القيم الخلقية.، **أمثلة:**

- ✓ قصة صدق أبي بكر الصديق تعلّم الصدق والثبات على الحق.
- ✓ قصة عدالة عمر بن الخطاب تعرّف الطفل بمفهوم العدل والمسؤولية.
- ✓ قصة رحمة النبي بالحيوان تغرس الرحمة في قلب الطفل من خلال مواقف إنسانية.

في الشعر:

"يا طفلُ كنْ بالخيرِ دومًا عامرًا وانهجْ طريقَ المصطفى طاهرًا"

بيت شعري يعكس الجمع بين الفنّ والمضمون الأخلاقي الإسلامي.

.3**غرس محبة الله ورسوله ﷺ**

يُسهم الأدب الديني في غرس محبة الله والنبي ﷺ في نفس الطفل من خلال القصص الوجدانية والمواقف الحياتية البسيطة، مثال: قصة محمد في صباه، تُبرز لطف النبي، وصدقه، وأمانته، فيتخذ الطفل منه قدوة دون أن يُطلب منه ذلك مباشرة.

في الأناشيد:

"يا نبيَّ اللهِ يا خيرَ الورى فيكَ حبّي دائمًا لن يَبرَى"

هذه الأناشيد تدمج العاطفة الدينية بالموسيقى واللغة الوجدانية.

.4**تعليم العبادات والفرائض بأسلوب قصصي**

من القضايا الدينية المهمة في أدب الطفل تعليم الصلاة، والصوم، والزكاة، والحجّ بطريقة فنية تفاعلية، أمثلة:

- ✓ قصة رحلة إلى المسجد تُعرّف الطفل بطريقة الوضوء والصلاة.
- ✓ قصة صوم رمضان الأول تُظهر كيف يعيش الطفل تجربة الصيام الأولى بروح الفرح والمشاركة.
- ✓ قصة زهرة والزكاة تُعلّم مفهوم العطاء ومساعدة الفقراء.
- ✓ قصة رحلة إلى مكة تُصوّر الحجّ كرحلة روحية جميلة بلغة بسيطة وصور ملوّنة.

.5**القيم القرآنية والقصص النبوي**

القصص القرآني مصدر ثري لأدب الطفل لأنه يجمع بين الفن والتربية والعبرة، لكن الكاتب المعاصر يُعيد صياغته بأسلوب يناسب ذهن الطفل دون إخلال بالقداسة، أمثلة:

- ✓ قصة يوسف عليه السلام تعلّم الصبر والعفو والإيمان بعد الشدّة.
- ✓ قصة نوح عليه السلام تُبرز معنى الإصرار والثقة بالله.
- ✓ قصة أصحاب الكهف ترسّخ الثبات على الحق رغم الصعاب.

.6التربية الروحية والوجدانية

الأدب الديني لا يقتصر على العقيدة والعبادات، بل يتناول الجانب الوجداني الإيماني الذي يربط الطفل بالله عبر التأمل والحمد والشكر، مثال: قصيدة بعنوان أنظر إلى السماء تقول:

"أنظرُ في السّماءِ يا ربّي فأراكَ في الضّياءِ والحُبِّ"

القصيدة تُنمّي في الطفل الحسّ الجمالي الروحي دون مباشرة.

.7قضايا الهوية والانتماء الديني

الأدب الإسلامي للأطفال يواجه أيضًا تحدّيات العولمة الثقافية، لذلك يُبرز هوية الطفل المسلم ويُعرّفه بثقافته الدينية الأصيلة في مواجهة التقليد والانبهار بالغرب، مثال:

قصة لي صديقان من ديانات مختلفة تُعلّم الطفل احترام الآخر دون أن يتخلّى عن إيمانه.

فتجمع بين التسامح والاعتزاز بالدين في توازن إنساني راقٍ.

.8الدعوة إلى القيم الإنسانية المشتركة من منطلق إسلامي

يعالج أدب الطفل الديني قضايا إنسانية مثل الرحمة، والعدل، والتعاون، والسلام من المنظور الإسلامي الذي يجعلها قيمًا عالمية، مثال: قصة الطيور في بيت واحد تبرز كيف تعيش الطيور من أجناس مختلفة في سلام رغم اختلافها، رمزًا لوحدة الخلق تحت خالقٍ واحد.

خاتمة:

إنّ القضايا التي يعالجها أدب الطفل ليست مجرد موضوعات تُعرض للمتعة، بل هي وسيلة لبناء الإنسان الصغير فكرًا ووجدانًا وسلوكًا، فمن خلال القصة والشعر والمسرح، يتعلّم الطفل كيف يحبّ، وكيف يفكّر، وكيف يعيش بانسجام مع نفسه والعالم، وأدب الطفل، في جوهره، ليس فقط أدبًا للصغار، بل هو أدبٌ للإنسان في أنقى مراحله وأكثرها صدقًا.